

الآخر المتغير في رحلة "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" لابن بطوطة - دراسة وصفية -

The Changing Other in the Journey of Ibn Battuta's "The Watcher's
Masterpiece in the Strange Regions and the Wonders of Travels"
- A Descriptive Study -

أحلام عثمانية، مخبر الدراسات اللغوية والأدبية، جامعة 8 ماي 1945 - قالمة، الجزائر

Athamnia.ahlem@univ-guelma.dz

تاريخ قبول المقال: 08-11-2023

تاريخ إرسال المقال: 02-08-2023

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى استجلاء تمثيلات الآخر في رحلة "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" لابن بطوطة. فالرحلة بوابة تاريخية، واجتماعية، وثقافية، يعبر من خلالها المؤرخ والأديب والرحالة عن الآخر. فهي بمثابة مصادر شاملة، سجلت فيها جوانب متعددة فيما يخص المظاهر الحضارية على امتداد أزمنة متتالية. فالرحلة تتطلب اتساع المعارف وتنوعها لأنها تستخدم الجغرافيا، وتستند إلى التاريخ عند التعرض لوصف المسالك والمدن والمعالم وبدايات الأمور، بل ورصد الظواهر الاجتماعية غير المألوفة لديهم وكذلك الاقتصادية ويتبعها السياسية بنسب متفرقة، ويتم عرض ذلك بزي الأدب وطابعه.

الكلمات المفتاحية: أدب الرحلة، الآخر، المختلف، ابن بطوطة.

Abstract:

This study aims to explore the other's representations in Ibn Battuta's "Tuhfat al-Nazar fi Gharib al-Amsa wa'l-Aja'at al-Safra" The journey is a historical, social and cultural gateway through which the historian, writer and traveler expresses the other. They are comprehensive sources, in which various aspects of civilizational manifestations were recorded over successive times. The journey requires the breadth and diversity of knowledge because it uses geography, and it relies on history when discussing paths, cities, landmarks, and the beginnings of things, and even monitors social phenomena that are unfamiliar to them, as well as economic and followed by politics in dispersed proportions, and this is presented in the dress of literature and its character.

Key words : Travel literature, the other, the different, Ibn Battuta.

مقدمة:

برع مفكرون وأدباء كثيرون في مجال اكتشاف الآخر، ومعرفته من خلال القيام برحلات سُجّلت عبر التاريخ، دونوا فيها أخبار الأمم التي زاروها واطلعوا على أحوالها السياسية، والاقتصادية، والثقافية، والاجتماعية، فكان لها دور بارز في اكتشاف الشعوب، والثقافات المختلفة، فأدت المعلومات المدونة فيها إلى بروز نظريات، ومناهج بحث مختلفة.

وممن اشتهر باكتشاف الحضارات الإنسانية ابن بطوطة في رحلته "ثحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار". فكانت له مجهودات هامة في نقل عادات بعض الأمم، والشعوب، وتقاليدهم، وثقافتهم. واهتمامه بالناس، ووصف حياتهم اليومية، وطبائعهم وسلوكاتهم.

ومن هنا جاءت هذه الورقة البحثية للإجابة عن التساؤل الآتي: كيف تجلّى الآخر المختلف عن الأنّا في رحلة ابن بطوطة؟

ومن خلال الإجابة على الإشكالية سنعمد على المنهج الوصفي التحليلي لأنّه الأنسب لمثل هذه الدراسة، وذلك باستكناه تمثّلات الآخر من خلال الرحلة. أمّا الهدف من هذه الدراسة فهو تسليط الضوء على أدب الرحلة، وتصويره للآخر، ونقله لثقافات الشعوب على اختلاف أجناسها وألوانها ومشاربها.

المبحث الأول - مفهوم أدب الرحلة:

المطلب الأول - مفهوم الرحلة:

أ - لغة:

لقد حظيت مادّة "رَحَل" بشرح واف في العديد من المعاجم العربيّة، فقد جاء في لسان العرب: "التَّرحيلُ وَالتَّرحالُ بِمعْنَى الإِشْخَاصِ وَالإِزْعَاجِ، يُقَالُ: رَحَلَ الرَّجُلُ إِذَا سَارَ، وَأَرْحَلْتُهُ أَنَا، وَرَجُلٌ رَحُولٌ وَقَوْمٌ رَجَلٌ أَي يَزْتَحِلُونَ كَثِيرًا، وَرَجُلٌ رِحَالٌ: عَالِمٌ بِذَلِكَ مُجِيدٌ لَهُ..."¹

فالرحلة هنا بمعنى السير. وورد لفظ الرحلة في موضع آخر بمعنى الانتقال من مكان إلى مكان آخر "والتَّرحُلُ وَالإِزْتِحَالُ؛ الْإِنْتِقَالُ، وَهُوَ الرَّحْلَةُ وَالرَّحْلَةُ اسْمٌ لِلإِزْتِحَالِ، لِلْمَسِيرِ..."²

ومن معاني الرحلة كذلك الوجهة أو المقصد والرحلة بالضم الوجهة الذي تأخذ فيه وشريده...³

وورد في مقاييس اللغة (رحل) الرّاء والحاء واللام أصلٌ واحدٌ يدلُّ على مُضيٍّ في سَفَرٍ، يُقَالُ: رَحَلَ يَرْجُلُ رِحْلَةً. وَجَمِيلٌ وَرَجِيلٌ: ذُو رِحْلَةٍ إِذَا كَانَ قَوِيًّا عَلَى الرِّحْلَةِ. وَالرَّحْلَةُ: الإِزْتِحَالُ⁴

وجاء في قاموس المحيط: "الرَّحْلَةُ بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ أَوْ بِالْكَسْرِ: الْإِزْتِحَالُ وَبِالضَّمِّ: الْوَجْهُ الَّذِي تَقْصِدُ وَالسَّفَرَةُ الْوَاحِدَةُ. وَالرَّحِيلُ كَأَمِيرِ اسْمِ اِزْتِحَالِ الْقَوْمِ وَمَنْزِلٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْبَصْرَةِ. وَرَاحِيلُ: أُمُّ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَرَحْلَةٌ: هَضْبَةٌ. وَأَرْحَلَ: كَثُرَ تَرَوَّاجُلُهُ وَالْبَعِيرُ: قَوِي ظَهْرُهُ بَعْدَ ضَعْفِ الْإِبِلِ: سَمِنَتْ بَعْدَ هُزَالٍ فَأُطِيقَتْ الرَّحْلَةُ وَفُلَانًا أَعْطَاهُ رَاحِلَةً. كَمَنَعَ: انْتَقَلَ. وَرَحَلْتُهُ تَرَحِيلًا فَهُوَ رَاحِلٌ مِنْ رُحْلٍ كَرَكْعٍ".⁵

إذا فالرحلة تعني الترحال والانتقال والضرب في الأرض والسير في مناكبها.

ب - اصطلاحا:

تعددت مفاهيم الرحلة في الاصطلاح، إلا أنها كلها تصب في قالب واحد فقد عرفها الإمام الغزالي " بأنها أنواع مخالطة مع زيادة تعب ومشقة"⁶، فالرحلة في نظره هي احتكاك بالآخر من انفتاح على المكان المتوجه إليه، فتحدث مخالطة وتفاعل.

أما بطرس البستاني فيعرفها بأنها "انتقال واحد-أو جماعة-من مكان إلى مكان آخر"⁷، فكل رحلة غرض وغاية، دفعت بالرحالة للترحال سواء كان الدافع أو الغاية ذاتيا خاص بالرحالة أو عاما خاص بأُمَّته وأحوالها.

في حين يعرفها صلاح الدين الشامي: "إن الرحلة تظل إنجازا أو فعلا مباشرا لما يعنيه، أو يقتضيه أمر اختراق حاجز المسافة أو إسقاط الفاصل الحاجز بين المكان الذي تبدأ منه، والمكان الذي تنتهي إليه"⁸. أي أن الرحلة تحقق الحركة للإنسان فيتولد عن ذلك فوائد عدة فالشخص الذي يقوم بالرحلات ليس الشخص نفسه الذي لا يتحرك ولا يرتحل، وتبقى الرحلة أعم وأشمل من السفر، لأن في السفر تقطع مسافات معينة أما الرحلة فتكون انتقال من مكان إلى آخر بقطع مسافات كبيرة.

فمشتقات الرحلة كثيرة ومتعددة تدل كلها على الحركة لأن الرحلة في الواقع ما هي إلا حركة وانتقال⁹.

أي أن الرحلة عبارة عن رياضة تبعث في الإنسان الحيوية والنشاط والبعد عن الخمول.

المطلب الثاني - مفهوم أدب الرحلة:

بعد أن تطرقنا لمفهوم الرحلة في الاستعمال اللغوي والاصطلاحي، سنحاول تحديد مفهوم أدب الرحلة على اعتبار أنه فن من الفنون النثرية، فهي من الفنون الأدبية التي عرفت عند الفراعنة والفينقيين والإغريق، كما عرف عند العرب على أنه فن له ميزاته الخاصة، فإذا اهتم الرحالة بتصوير كل ما شاهده في أثناء رحلته من أجل إيصال فكرة معينة فرحلته تدخل في مجال "الأدب" لأنه يفعل ويتأثر ويصف فيصور لنا ذلك من خلال عمله الأدبي¹⁰.

في حين يعرفه ناصر موافي بأنه "ذلك النثر الذي يصف رحلة -رحلات- واقعية قام بها رحال متميز، موازنا بين الذات والموضوع، من خلال مضمون وشكل مرنين، بهدف التواصل مع القارئ والتأثير فيه"¹¹. فأدب الرحلة جنس نثري يقوم فيه الرحالة بوصف رحلته وصفا واقعيًا دقيقًا مركّزًا على كل تفاصيل الحياة، بعيد كل البعد عن الخيال، يقوم فيه بالموازنة بين ذاته بوصفه لحاله وما صادفه وبين الموضوع من أجل التأثير في القارئ والتواصل معه كأنه سافر معه، إذ يسجل رحلته في أثناء سفره من خلال يومياته أو سردها على أشخاص بعد عودته فيقومون بتدوينها حفاظًا عليها من الضياع نظرًا لما تحمله من قيمة. يعدّ مصطلح أدب الرحلة في معجم المصطلحات العربية "مجموعة من الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلدان مختلفة، وقد يعرض فيها ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق وتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها"¹².

ومن خلال عرضنا لهذه الأقوال نستخلص أنّ أدب الرحلة مصدر ثريّ تستقي منه سائر العلوم ما جعلها تستحوذ على مكانة مميزة عن بقية الأنواع الأدبية باعتبارها شريطًا تسجيليًا لمختلف مظاهر الحياة، فالرحالة وهو يجوب الأرض يسجل كل ما تقع عليه عيناه، فيختلف الرحالة في تصوير المكان المزار من شخص لآخر.

المبحث الثاني - ابن بطوطة ورحلاته:

المطلب الأول - التعريف بالرحالة:

هو محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن يوسف (بن عبد الرحمن)¹³ اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة، والمعروف في البلاد الشرقية بشمس الدين¹⁴.

ولد بطنجة في يوم الاثنين السابع عشر من رجب 703هـ بالمغرب الأقصى، وينسب ابن بطوطة لأسرة غُنيّت بالعلوم الشرعية، وعُرفت بالبسطة في العيش، اشتغل بعض أفرادها في القضاء الشرعي؛ وهو ما ذكره لأحد الملوك الذين التقاهم عندما خيره بين الوظائف، فقال: "أما الوزارة والكتابة فليست شغلي، وأما القضاء والمشيحة فشغلي وشغل آبائي"¹⁵.

حفظ في طنجة القرآن، ودرس العلوم الدينية والأدب، فشب ورعاً تقياً محباً للعلماء والأولياء، ولكن يبدو أنّه لم يتمّ دراسته لأنّه لما بلغ الثانية والعشرين من عمره ألحت عليه الرغبة في مغادرة بلاده، ومفارقة أهله استجابة لنداء الفريضة المقدسة التي كان عليه أن يؤديها. فخرج من طنجة سنة 725هـ قاصدا مكة المكرمة، وزيارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم؛ وهذا ما أكده قوله: "كان خروجي من طنجة مسقط رأسي، يوم الخميس الثاني من شهر الله، رجب الفرد، عام خمسة وعشرين وسبعمائة، معتمدا حج بيت الله

الحرام وزيارة قبر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام¹⁶. بالإضافة إلى رغبته في رؤية أحوال الناس في الأقطار المختلفة، وشوقه إلى المعرفة، وولعه بالتنقل والمغامرة والتجربة، ومعرفة أحوال الدنيا من حوله.

المطلب الثاني: رحلاته:

رحل ابن بطوطة ثلاث رحلات: أولاها وهي أطولهن بدأها في يوم الخميس الثاني من رجب سنة 725هـ، وانتهى منها يوم الجمعة أواخر شعبان سنة 750هـ.

وفي هذه الرحلة طاف بأنحاء المغرب الأقصى، ثم اتجه نحو الشرق عبر تلمسان أو المغرب الأوسط، إلى تونس وليبيا، وانتهى به المطاف في مصر، ومنها اتجه إلى الإسكندرية ثم القاهرة، وتابع رحلته إلى مكة المكرمة عن طريق بلاد الشام، وذلك سنة 726هـ، فأدى مناسك الحج، ومن مكة رحل إلى العراق وإيران وبلاد الأناضول، ثم عاد إلى الحجاز سنة 727هـ، وحج للمرة الثانية، وجاور في مكة ثلاث سنوات، وفي عام 730هـ غادر الحجاز إلى اليمن وبلاد الخليج العربي، ثم سار في الخليج العربي متجها إلى البحرين والأحساء، ومن هناك عاد إلى الحجاز سنة 732هـ، ومن ثم قصد مصر ومنها إلى سورية، ثم غادرها متجها نحو فلسطين، ثم قصد شبه جزيرة القرم، وبلاد الأوزبك، ومن هناك رافق إحدى الملكات إلى القسطنطينية.

وبعد عاده عاد إلى القرم كي ينطلق منها إلى بخارى وبلاد الأفغان، إلى أن وصل إلى دلهي على نهر الغانج فاستقر بها مدة عامين، عمل خلالها قاضيا للمذهب المالكي.

ولما أراد السلطان محمد شاه (ملك الهند) أن يرسل وفداً إلى ملك الصين خرج ابن بطوطة فيه، ولكنه

لم يتجاوز جزائر ذبية المهل (جزر مالديف)، حيث استقر فيها مدة سنة ونصف، تولى فيها من جديد منصب القضاء. ثم شعر برغبة شديدة في زيارة الصين، فقصدتها بعد أن مرّ بساحل البنغال وشبه جزيرة الملايو. وانكفاً بعدها راجعاً من رحلته الأولى عن طريق سومطرة، فالهند، فاليمن، فبلاد العجم، فالعراق، فالشام، فمصر إلى أن وصل مكة في 22 شعبان سنة 749هـ، فأقام بها إلى موسم الحج، وهي المرة السادسة التي يحج فيها، ثم سافر إلى المدينة المنورة، ومنها إلى القدس، ثم إلى مصر، وانتهى عائداً إلى المغرب بعد أن غاب عنه خمساً وعشرين سنة، فدخل فاساً في أواخر شعبان سنة 750هـ.

وبعد أن أقام فيها مدة عام، عاوده الشوق والحنين إلى الارتحال، فبدأ رحلته الثانية في مملكة غرناطة بالأندلس سنة 751هـ، وقد خرج ابن بطوطة في هذه الرحلة من بلده طنجة، فمرّ بسبته وجبل طارق، ثم رحل إلى فاس ليهيئ نفسه لرحلة ثالثة إلى بلاد السودان سنة 753هـ، فزار بعض مدنها، ومنها عاد إلى المغرب.

ولما استقر به المقام هناك أخذ في رواية ما شاهده من عجائب المشاهدات وغرائب الأخبار، فأعجب السلطان المريني أبو عنان (729هـ - 759هـ) بقصصه الشائقة، فطلب منه أن يملئها على كاتبيه محمد بن جزي الكليبي.

أملى ابن بطوطة رحلته على كاتب السلطان ابن جزي من ذاكرته بحجة ضياع مذكراته، التي سجل فيها مشاهداته، وملاحظاته لأن الكفار سرقوها منه. فكانت هذه الرحلة هي الكتاب الوحيد الذي خلّفه بعد غيبته الطويلة.

هكذا أمضى ابن بطوطة حوالي تسع وعشرين سنة في الترحال بين المدن والبلدان، من أجل معرفة عادات الشعوب والأقوام، ولهذا فهو شيخ الرحالين، بلا منازع، لكثرة طوافه في الآفاق، فهو من المغامرين الذين دفعهم حب الاستطلاع إلى ركوب كثير من الأخطار والأهوال. خرج في مغامراته إلى أراض بعيدة مجهولة، واستكشف أرجاء مثيرة من العالم ليسرد قصة رائعة نقل من خلالها ثقافات شعوب عديدة في عالم عصره من الأندلس غرباً إلى اندونيسيا شرقاً.

وبعد استقراره في المغرب تولّى منصب القضاء بإقليم تامسنا؛ وهو المنصب الذي تولاه عدّة مرات خارج وطنه؛ فقد تولّى قضاء الركب الحجازي عند خروجه من تونس قاصداً الحجاز: " عرف رفاقه في السفر تبحره في العلوم الشرعية كما تبينوا فضله ودمائه خلقه، وذلك في طريقهم إلى مصر، فجعلوه قاضياً لهم"¹⁷، كما تولّى هذا المنصب السامي في دلهي، وجزر مالديف.

توفي بمراكش عام 770هـ، وتلقبه جمعية كمبرج في كتبها وأطالسها بأمير الرحالين المسلمين¹⁸ لأنّه كان نموذجاً متميزاً للرحالة المسلمين، وعلى يده استوت الرحلة ونضجت، وأصبحت فناً قائماً بذاته.

المبحث الثالث - الآخر من خلال رحلة ابن بطوطة:

نقل ابن بطوطة في كتابه كلّ ما شاهده، وسمعه من حكايات وأخبار، فاعتمد على عنصر الوصف لتصوير ذلك، فوقف عند كثير من المدن والأماكن، والمساجد والزوايا والمدارس والشخصيات، وبخاصة الذين لفتوا انتباهه.

المطلب الأول: وصف المدن:

كان الوصف إحدى أهم ركائز رحلته، وجعلها مصدراً هاماً لوصف الثقافات الإنسانية المختلفة؛ فصور أخلاق الشعوب، وطبائعها، وحياتها، ودياناتها، وعاداتها، وتقاليدها، فضلاً عن وصفه للبيئات الجغرافية مثل حديثه عن التربة، والمناخ، والأنهار، والمياه، ووصف بعض الأماكن بالحسن والبهاء، وحديثه أيضاً عن المنشآت العمرانية كالمساجد والزوايا، وتحديد مساحتها وقياساتها، ووصفها وصفاً دقيقاً مفصلاً.

والملاحظ على وصف ابن بطوطة هو تركيزه على بعض الأماكن دون أخرى، فهو، كما هو معلوم، زار بلداناً كثيرة، إلا أن وصفه لها لم يكن بالمستوى نفسه.

فتارة نراه يختزل الوصف فلا يتجاوز سطوراً، وطوراً يميل إلى التطويل والإحاطة بجميع ما يتعلق بالبلد، وسكانه وعاداتهم وتقاليدهم، كما في حديثه عن الأماكن المقدسة: مكة المكرمة، والمدينة المنورة، وبيت المقدس، وبخاصة مكة المكرمة التي أفاض في الحديث عنها، وعن شعائرها المقدسة، وعن عادات أهلها وتقاليدهم، الذي يتجاوز تقريباً أربعين صفحة، ووقف كذلك طويلاً عند المراكز العربية الإسلامية المشهورة كالقاهرة، والعراق، ودمشق، وفلسطين، وهي مراكز الإشعاع العربي في ذلك الوقت، أما مدينة دلهي فقد تحدث عنها مطولاً، وخصّص لها من الصفحات أضعاف ما خصّصه لمكة المكرمة.

تناول في وصفه لهذه البلدان جميع مناحي الحياة، وكلّ ما يتعلق بالسكان، وبعباداتهم، فتفصيل وصف المدن عند ابن بطوطة، والوقوف عند دقائقها مقوماً من مقومات رحلته.

أولى الرحالة أهمية لبعض الأماكن لأن وقوفه عندها يحتاج إلى تطويل، وإمعان نظر، ودقة ملاحظة نظراً لمكانتها عند المسلمين. تجلّى ذلك في حديثه عن مكة المكرمة، فافتتح حديثه بوصف مشاعره وإحساسه الرائع ببلوغها، والوقوف على أراضيها المقدسة، ليصفها بعد ذلك: "وهي مدينة كبيرة متصلة بالبنين مستطيلة في بطن وادٍ تحف به الجبال فلا يراها قاصدها حتى يصل إليها وتلك الجبال المطلة عليه ليست بمفرطة الشموخ"¹⁹، ليعرض للحديث عن أبوابها الثلاث، وذكر مسجدها الحرام فأسهب في وصفه، وما أجري عليه من إضافات وتعديلات وما تحتويه الكعبة الشريفة من الداخل وأستارها، والميزاب المبارك والحجر الأسود، والمقام الكريم، والحجر والمطاف، وزمزم، ليعود مرة أخرى إلى المسجد الحرام، والتحدث عن أبوابه، وما دار به من المشاهد الشريفة، كما وصف أيضاً الصفا والمروة والجبانة المباركة²⁰، وبعض المشاهد خارج مكة المكرمة، لينتقل إلى الحديث عن أميرها في ذلك العهد: "أسد الدين رُمَيْثَة وسيف الدين عَطِيفَة ابني الأمير أبي نُمَى بن أبي سعد بن علي بن قُتَادَة الحَسَنِيِّين ورُمَيْثَة أكبرهما سناً، ولكنه كان يُقَدِّم اسم عَطِيفَة في الدعاء له بمكة لعدله"²¹.

بعد انتهاء الرحالة من الحديث عن الأماكن المقدسة، ووصفها عرض لذكر أهل مكة وفضائلهم، ووصفهم بمكارم الأخلاق وإيثارهم للضعفاء وحسن جوار الغرباء: "ومن مكارمهم أنهم متى صنع أحدهم وليمةً يبدأ فيها بإطعام الفقراء المنقطعين المجاورين"²². فهم أناس ظرفاء أكثر لباسهم البياض يتميزون بالنظافة وكثرة التطيب، أما نسائهم فهن فائقات الجمال ذوات صلاح وعفاف، ثم ذكر قاضيتها، وخطيبها، وإمام الموسم بها، وعلماءها، وصلحاءها، وبعض المجاورين بها، ثم تحدث عن عاداتهم في صلواتهم ومواضع أنتمهم: "فمن عاداتهم أن يصلّي أول الأئمة إمام الشافعية، وهو المقدّم من قبل أولي الأمر، وصلاته خلف

المقام الكريم... فإذا صلى الإمام الشافعي، صلى بعده إمام المالكية في محراب قبالة الركن اليماني، ويصلي إمام الحنبلية معه في وقت واحد مقابلاً ما بين الحجر الأسود والركن اليماني، ثم يصلي إمام الحنفية قبالة الميزاب المكرم²³، وبعدها تحدث عن عاداتهم في الخطبة وصلاة الجمعة، وذكر عاداتهم في استهلال الشهور: شهر رجب وعمرته، وعاداتهم في ليلة النصف من شعبان، وشهر رمضان المعظم، وشهر شوال، لينتقل إلى ذكر إحرام الكعبة الشريفة، وشعائر الحج المقدسة.

أما مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فأخذت هي الأخرى حجمها المناسب، ونالت مكانتها التي تستحقها. بدأ بالحديث عن مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وروضته الشريفة، وهو مسجد مستطيل الشكل، يتوسطه صحن مفروش بالحصى والرمل، تحف به شوارع مبلطة بالحجر المنحوت، والروضة المقدسة في الجهة القبلية مما يلي الشرق من المسجد، عجيبة الشكل مدورة بالرخام البديع النحت، وبعد وصفه لهما وصفاً مفصلاً عرض لابتداء بناء المسجد الكريم، ليتحدث بعده عن المنبر، والخطيب، والإمام، والخدام، والمؤذنين به، والمجاورين وأمير المدينة، والمشاهد المباركة بخارجها، ثم انتقل إلى وصف طريق مكة المكرمة ليصفها وصفاً بارعاً، وكأنه يرسمها أمام الأعين.

أما بيت المقدس فهو ثالث المسجدين الشريفين في رتبة الفضل، ومصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعرجه إلى السماء، فابتدأ بذكر المسجد الأقصى وهو من المساجد العجيبة الفائقة الحسن ليس على وجه الأرض مسجد أكبر منه، ليسرد المساحات والأقياس، ثم تحدث عن قبة الصخرة التي تعد من أعجب المباني، وأتقنها وأغربها شكلاً، وعرج أخيراً على المشاهد المباركة بالقدس الشريف وفضلائه.

وإذا وصف مصر ذكر مسجد عمرو بن العاص والمدارس والمارستان والزوايا، التي وصفها وصفاً دقيقاً، فقدّم صورة عامة عن عاداتهم وتقاليدهم قال: "ومن عوائدهم في الطعام أنه يأتي خديم الزاوية إلى الفقراء صباحاً فيعين له كل واحد ما يشتهي من الطعام، فإذا اجتمعوا للأكل جعلوا لكل إنسان خبزة ومرة في إناء على حدة لا يشاركه فيه أحد، وطعامهم مرتان في اليوم ولهم كسوة الشتاء وكسوة الصيف"²⁴. ثم تحدث عن قرافة مصر ومزاراتها، ونيلها، وأهرامها، وأعيانها، ويوم المحمل الذي هو من الأيام المشهودة يركب فيه القضاة الأربعة، ووكيل بيت المال والمحتسب، وأعلام الفقهاء وأمناء الرؤساء، وأرباب الدولة قاصدين باب القلعة، أما الإسكندرية فهي الثغر المحروس، مدينة جميلة أصيلة البنيان تحدث عن أبوابها ومرساها ومنارتها وعمود السواري، وبعض علمائها كأبي الحسن الشاذلي صاحب الكرامات الشهيرة المدفون بحميترًا، وإليه تنسب الطريقة الشاذلية، وهنا عرض لذكر حزب البحر المنسوب إليه.

ولما دخل دمشق عجز لسانه عن وصفها لفرط حُسْنها، فلم يجد أبدع مما قاله أبو الحسين بن جبير في وصفها. هذا المقطع الذي أورده ابن بطوطة في رحلته كان من صنيع ابن جزي محرر الرحلة الذي اطلع

على كتب عصره، ولا سيما الرحلات لاشتهارها وانتشارها في القرنين السابع والثامن للهجرة، فقدّم لها بمجموعة من الأشعار من أحسن ما قيل فيها، ليعرض إلى الحديث عن جامع دمشق المعروف بجامع بني أمية: "وهو أعظم مساجد الدنيا احتفالاً، وأتقنها صناعة وأبدعها حسناً وبهجة وكمالاً"²⁵.

ثمّ ذكر شيئاً عن تاريخ بنائه ومن تولّى ذلك، ليتحدث بعدها عن زينته وأصبغته ومساحته وأبعاده، حيث يوجد في خزانته الكبيرة المصحف الكريم الذي وجهه أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى الشام، ثمّ تحدث عن الأئمة، وهم ثلاثة عشر إماماً، والمدرسين والمعلمين به، وقضاة دمشق، ومدارسها وأبوابها، وبعض المشاهد والمزارات بها.

وإذا وصف بغداد دار السلام وحضرة الإسلام، لم يجد لها هي الأخرى وصفاً أحسن من وصف ابن جُبَيْر لها، فهذه المدينة قد ذهب رسمها، ولم يبق إلاّ اسمها بفعل الحوادث وغزوات التتر وحملة هولاكو. وقف ابن بطوطة أمام حمّاماتها مبدياً إعجابه، فأكثرها مطليةً بالقار تُخِيلُ لرائيه أنّه رخام أسود، وبها حجرات كثيرة، وفي كل حجرة حوض فيه أنبوبان، أحدهما يجري بالماء الساخن، والآخر بالماء البارد، وكل داخل إليه يُعطى ثلاث فوطات: إحداها يترّر بها عند دخوله والأخرى يترّر بها عند خروجه، والأخرى ينشف بها الماء عن جسده .

والذي استرعى انتباه الرّحالة في مدينة بغداد سوقها المعروف بسوق الثلاثاء في الجهة الشرقية منه توجد فيه كل الصناعات. وفي وسط هذه السوق توجد المدرسة النظامية وفي آخره المدرسة المستنصرية. ثمّ تحدث عن قبور الخلفاء وبعض العلماء والصالحين ببغداد.

أمّا جزائر ذبيّة المَهَل (جزر مالديف) فتعدّ إحدى عجائب الدنيا: "وهي نحو ألفي جزيرة، ويكون منها مائة فما دونها مجتمعات"²⁶. ولما وصل إلى مدينة دلّهي قاعدة بلاد الهند أطل حديثه عنها، فهي مدينة ضخمة جامعة بين الحسن والحصانة: "كبيرة الساحة، كثيرة العمارة وهي الآن أربع مدن متجاورات متصلات"²⁷. ثمّ تحدث عن سورها الذي لا نظير له وأبوابها الثماني والعشرون، وهم يسمون الباب دروازة، ليعرض لجامعها فيصفه وصفاً دقيقاً، وذكر أيضاً بعض علمائها وصلحائها.

كانت هذه، إذًا، بعض النماذج عن وصف المدن في رحلة النّحفة، فكان وصفه لها موضوعاً ذاتياً، نابعاً من دقة ملاحظته، ونظر ثاقب أكد منهجه العلمي في الوصف. وعند وصفه لهذه المدن عرض لدراسة حياة أهلها وعاداتهم وتقاليدهم، ودكّر علماءهم وصلحاءهم.

المطلب الثاني: وصف المرأة:

لم يقف ابن بطوطة عند وصف المدن فحسب، بل تطرق إلى وصف عديد من الأشياء؛ فقد نالت المرأة، هي الأخرى، حظّها من الوصف، فانظر إليه، مثلاً، يصف نساء مكّة المكرمة "ونساء مكّة فائقات

الحسن، بارعات الجمال ذوات صلاح وعفاف، وهن يكثرن التطيب حتى إن إحداهن لتببت طابوةً وتشتري بقوتها طيباً²⁸، وكذلك نساء هنور من بلاد الهند فإتھن يتميزن بالجمال والعفاف، ومن خصائصهن حفظهن للقرآن العظيم. وفي هذه المدينة ثلاثة عشر مكتبا لتعليم البنات وثلاثة وعشرين مكتبا لتعليم الأولاد.

أما نساء جزائر ذبية المهل فلا يغطين رؤوسهن، وكذلك سلطانتھن، يمشطن شعورھن ويجمعهن إلى جهة واحدة، ولا يلبسن إلا فوطة واحدة تسترھن من السرة إلى أسفل، وسائر أجسادهن مكشوف، ساء هذا الوضع الرّحالة باعتباره رجلاً مسلماً، فجاهد في قطع هذه العادة الذميمة لما تولّى القضاء بها، وهؤلاء النسوة يكثرن من لبس الحلي، فتجعل المرأة جملة من الأساور في ذراعيها بحيث تملأ ما بين الكوع والمرفق، وهي من الفضة، أما أساور الذهب فهي حكر على نساء السلطان وأقاربه. ومن عاداتھن أنھن لا يخرجن مع أزواجهن عن مدينتھن، وإن أرادوا السفر طلقوهن.

وإذا تحدث عن نساء شيراز وصفھن بالصلاح والدين والعفاف، وهن يلبسن الخفاف ويخرجن متلحفات، فلا يظهر منهن شيء، ومن عاداتھن أنھن يجتمعن لسماع الواعظ في كل يوم اثنين وخميس وجمعة بالجامع الأعظم حتى يجتمع منهن الألف والألفان بأيديھن المراوح يروحن بها على أنفسھن من شدة الحر. أولى ابن بطوطة المرأة في رحلته عناية، فوصف عفتها وشرفها حيناً، وعلمها ومكانتها السامية حيناً آخر، ففي بعض البلدان التي زارها الرّحالة كانت المرأة أعظم شأنًا من الرجل، وأرفع قدراً وأعلى منزلة منه كما في بلاد الماجر، فأهلها يعظمون المرأة أشد تعظيم.

صور ابن بطوطة انطباعاته عن كلّ شيء رآه، فكان بذلك موسوعة يستفيد منها أي باحث في أي تخصص، فوصف كلّ ما استرعى انتباهه وشدّ ناظره.

المطلب الثالث: النشاط الزراعي:

عرض ابن بطوطة لوصف بعض المنتجات الزراعية، ومن ذلك على سبيل المثال ذكره لأشجار بلاد الهند وفواكهها، فمنها العنبّة، وهي شجرة تشبه أشجار النارج، إلا أنها أعظم جرماً، وثمرها على قدر الإحاصل الكبير، ومنها الشّكي والبزكي، وهي أشجار عادية أوراقها كأوراق الجوز، وثمرها يخرج من أصل الشجرة، فما اتصل منه بالأرض فهو البزكي، وهو أشد حلاوة وأطيب طعماً، وما كان فوق ذلك فهو الشّكي، وثمره يشبه القرع الكبار، وجلوده تشبه جلود البقر، وعندما يصفر في أوان الخريف يقطعونه ويشقونه، فيكون بداخل كل حبة المائة والمائتان من حبات تشبه الخيار، وبين كلّ حبة وحبة صفاق أصفر اللون، ولها نواة تشبه الفول الكبير، فإذا شويت هذه النواة كان طعمها مثل طعم الفول، يدخرونها في التراب الأحمر فتبقى لمدة سنة، بعد الشّكي والبزكي من أحسن الفواكه ببلاد الهند.

ومنها التَّنْدُو، وهو ثمر شجر الأبنوس، يشبه المشمش في حجم حباته ولونه، وهو شديد الحلاوة، ومنها الجُمُون، أشجاره عادية، يشبه الزيتون الأسود في حجمه، وله نواة واحدة مثله أيضا.

ومنها النارنج الحلو، وهو كثير ببلاد الهند عكس النارنج الحامض، وهناك صنف آخر بين الحلو والحامض، وهو طيب المذاق، كان الرحالة يحب أكله.

ومنها المهو، وأوراقه كأوراق الجوز إلا أن فيها حمرة وصفرة، وثمره مثل الإجاص الصغير، شديد الحلاوة، وفوق كل حبة منه حبة صغيرة بحجم حبة العنب.

ومن فواكههم، فاكهة كَسِيرا، تزرع تحت الأرض، وهي شديدة الحلاوة تشبه القسطل، ومنها أُنار: وأظن هو الأصل في تسمية الجُلنار فإن جُل بالفارسية الزهر، وأُنار: الرمان²⁹، هذه الفاكهة تثمر مرتين في السنة.

ومن الحبوب التي يزرعها أهل الهند: الكُذْرو وهو نوع من الدُّخن، وهو أكثر الحبوب عندهم، ومنها القال ومنها الشاماخ، وهذا النوع من الحبوب ربما يَنْبُت من غير زراعة، وحبّه صغير جدًا، إذا جمع وضع تحت الشمس ثم يدق في مھاريس، فيطير لبّه الأبيض الذي يصنعون منه عصيدة يطبخونها بحليب الجواميس. ومنها الماش وهو نوع من الجلبان، ومنها المُنْج، وهو نوع من الماش، حبوبه مستطيلة، ولونه أخضر، يطبخ المُنْج مع الأرز ويؤكل بالسمن ويسمونه كُشْري، ومنها اللوبيا وهي نوع من الفول. ومنها الموت وهو مثل الكُذْرو، لونه أصفر، وهو من علف الدواب، ومنها الأرز الذي يزرع ثلاث مرات في السنة، ويزرعون السمسم، وقصب السكر أيضا.

هذه الحبوب التي ذكرها الرحالة هي حبوب خريفة كما قال، إذا حصدها بعد سنتين يوما من زراعتها، ازدرعوا الحبوب الربيعية وهي القمح والشعير والحمص والعدس.

وإذا تحدث الرحالة عن أشجار جزائر نيبية المهل وصف أشجار النَّارجيل، وهو شجر عجيب تثمر النخل منها اثني عشر عذقا في السنة، يخرج في كل شهر عذق، يصنعون منه الحليب والزيت والعسل. وهذا الشجر (جوز الهند) مشهور، أيضا، ببلاد ظفار، جوزها يشبه رأس ابن آدم لأن فيها شبه العينين والفم، وداخلها شبه الدماغ إذا كانت خضراء، وعليه ليفاً شبه الشعر، تصنع منه الحبال التي تخاط بها المراكب بدلا عن مسامير الحديد، وتصنع منه الحبال للمراكب.

ومن أشجار جزر مالديف الجمون والأترج والليمون والقلقاص. ومن أشجار مدينة ظفار التنبول الذي يغرس كما تغرس دوالي العنب، ولا ثمر به، وإنما المقصود منه ورقه، وهو شبيه بورق العليق. أما شجرات الفلفل التي ببلاد المُليبيار فتشبه دوالي العنب، يغرسونها إزاء النارجيل فتصعد فيها كصعود الدوالي، وأوراق شجره تشبه آذان الخيل، وبعضها يشبه أوراق العليق.

المطلب الرابع: العادات والتقاليد:

استرعى انتباه ابن بطوطة أحوال المدن، وعادات الناس وتقاليدهم، واختلاف طبائعهم فسجل كل ذلك في رحلته، ومن العادات التي وجدت صدق في رحلته إحراق الموتى في الهند، شاهد ذلك بأمر عينيه فهاله المنظر، وكاد يسقط عن فرسه لولا تدارك أصحابه له بالماء، فعندما يموت شخص ما في الهند تُؤجج النار لإحراقه؛ وقد تحرق المرأة نفسها مع زوجها، وهو أمر مندوب عندهم غير واجب: "من أحرقت نفسها بعد زوجها أحرز أهل بيتها شرفاً ونُسبوا إلى الوفاء، ومن لم تحرق نفسها لبست خشن الثياب، وأقامت عند أهلها بائسة لعدم وفائها"³⁰، فذكر قصة النساء الثلاث اللاتي أحرقن أنفسهن مع أزواجهن مفصلاً في الطريقة التي اتبعت، وكذلك يفعل أهل الهند في الغرق: "يغرق كثير منهم أنفسهم في نهر الكنك وهو الذي إليه يحجون، وفيه يُرمى برماد هؤلاء المحروقين"³¹.

ومن عادات أهل سكان منية ابن خسيب في مصر دخولهم الحمام دون مآزر، فعظم ذلك على الرحالة، وأخبر قاضي المدينة الذي كتب عقوداً على أصحاب الحمامات ينبههم، ويحذرهم أنه متى دخل أحد الحمام دون مئزر، فسيعاقبون على ذلك أشد عقاب.

جمع ابن بطوطة في رحلته كثير من عادات أهل البلدان على تعدد أجناسها، وتنافر أمزجتها، فكانت سجلاً دقيقاً لتقاليدهم، وأعرافهم.

ومن هذه العادات أيضاً، على سبيل المثال، مصاحبة الرجال للنساء الأجنبية، ومصاحبة النساء للرجال الأجانب بمدينة إيولاتن من بلاد السودان، والذي أثار غضب الرحالة، في هذا الشأن، هو تصرف أبي محمد يندكان المسوفي حيث سمح لامرأته بمصاحبة رجل أجنبي، وإحضاره إلى منزلها، والجلوس معه على السرير، مع العلم أن هذا الرجل سكن بلاد العرب، وعلم طرق الشرع، ومع ذلك لم يمنع زوجته من مصاحبة الرجال، بل أجابه بطريقة وقحة بأن مصاحبة النساء للرجال على خير وحسن طريقة لا تهمه فيها. وما ميّز أهل بلاد السودان، أيضاً، ابتعادهم عن الظلم، فسلطانهم لا يسمح أحداً في شيء منه، ومنها شمول الأمن في بلادهم، فلا يخاف المسافرين فيها، ولا المقيم من سارق أو غاصب، ومنها عدم تعرضهم لمال من يموت ببلادهم من البيضان، ولو كان القناطير المقنطرة، وإنما يتركونه بيد ثقة من البيضان حتى يأخذه مستحقه.

تعرض، أيضاً، للسلطين والحكام فوصفهم، ووصف سياستهم، وترتيب أمورهم، وعاداتهم في اللباس والمأكّل والمشرب، وترتيب جنودهم، ومظاهر الأبهة والترّف التي يعيشون فيها، ومن ذلك وصفه للسلطان محمد بن تغلق، وطريقة جلوسه: "وأكثر جلوسه بعد العصر، وربما جلس أول النهار، وجلوسه على مصطبة مفروشة بالبياض"³²، يجعل خلف ظهره وسادة كبيرة، وعن يمينه مُتْكَأ، وعن يساره مثل ذلك، وقعوده كجلوس

الإنسان للتشهاد في الصلاة، فإذا جلس وقف أمامه الوزير، ووقف الكاتب خلف الوزير، وخلفهم الحجاب، ثم يفصل في طريقة ترتيب جلوسه للناس، وكيفية دخول الغرباء عليه، وأصحاب الهدايا، ووصف، أيضاً، ترتيب خروجه للعديد، وما اتصل بذلك، كما تحدث عن ترتيب الطعام بدار السلطان الذي هو على صنفين: خاص وعام، فأما الخاص فهو طعام السلطان، وأما العام فهو طعام النقباء.

وطعامهم الرقاق، والشواء، والأقراص ذات الجوانب المملوءة بالحلواء، والأرز، والدجاج. عرض ابن بطوطة لوصف كل ما رآه في رحلته، فوصف البلدان وأهلها، وعاداتهم وتقاليدهم، وعمرانها من منشآت مركزاً اهتمامه على المساجد والزوايا والأربطة، فوصفها وصفاً دقيقاً بارعاً متعرضاً لتفاصيل دقيقة نقل من خلالها طريقتهم في الذكر والتعبّد واستقبال الغرباء، وعابري السبيل واستضافتهم، كما حدث ذلك مع جماعة الفتيان الأخية بتركيا. كانت هذه المتعبّدات منتشرة على طول الرحلة حارسة بذلك للعالم الإسلامي. وفي بعض الأحيان كان يقدم وصفاً للمشايخ والأولياء الذين التقاهم مثل حديثه عن بلشاد الهندي الرجل الأسود الذي يحمل بيده إبريقاً وعكازاً، وعلى كاهله جراب، أنقذه من موت وشيك.

فاختلط ابن بطوطة بأهم مختلفة، وأجناس متباينة جعله يرصد أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية والدينية متعرضاً لتفاصيل كثيرة لا يسع المجال لذكرها كلها كحديثه مثلاً في الجانب الاقتصادي عن النقود، والأسعار، والبيع، والشراء، والمكايل، والمراتب، والحرف.

كانت المقارنة هي الأخرى حاضرة في رحلته، ففي بعض الأحيان عقد مقارنة بين بعض البلدان التي زارها وموطنه الأصلي المغرب، وفي أحيان أخرى بين المدن التي زارها.

خاتمة:

بعد دراستنا لموضوع الآخر المتغير في رحلة ابن بطوطة، توصلنا إلى مجموعة من النتائج نجملها في النقاط الآتية:

- رحلة ابن بطوطة موسوعة علمية كبيرة، تضم بين دفتيها معلومات وافية لما فيها من صور وأخبار الشعوب وملهم، وعاداتهم وتقاليدهم، وكل ما تعلق بسبل حياتهم وعيشهم.
- جاء الوصف في رحلته دقيقاً أبرز من خلاله انطباعاته حيال كل ما شاهده.
- رصد الثقافات المختلفة على تباين مشاربها وبنابيعها.
- حظيت المرأة باهتمام الرحالة فتحدث عنها في كل رحلته.
- جاء وصف المدن متبايناً في رحلته، حيث أولى اهتماماً كبيراً للبقاع المقدسة نظراً لمكانتها في نفسه، وكذا بعض المدن المشرقية التي تعدّ مراكز ثقافية بامتياز.

- احتوت رحلته على معلومات وفوائد قيّمة، فجاءت جامعة لنواحي شتى، حيث تناول كلّ الجوانب بالوصف والملاحظة، فلم يقصرها على ناحية متناسيا الأخرى، بل أَلَمَّ بجميع الجوانب سواء كانت اجتماعية أو اقتصادية أو جغرافية أو تاريخية، حتى الحكايات والأساطير كان لها حيّز في رحلته.

- وفي الأخير يمكننا القول أن رحلة ابن بطوطة يمكن أن يستفيد منها أي باحث في أي تخصّص.

الهوامش:

- ¹ ابن منظور، لسان العرب مادة (ر، ح، ل)، ج 3، (د، ط)، دار المعارف، بيروت، (د، ت)، ص 1609.
- ² المرجع نفسه، ج 3، ص 1609.
- ³ المرجع نفسه، ج 3، ص 1609.
- ⁴ ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، (د، ط)، دار الفكر، سوريا، 1979، ص 497.
- ⁵ الفيروز آبادي (محي الدين يعقوب)، قاموس المحيط، ج 2، (د، ط)، دار الجيل، بيروت، 1985، ص 394.
- ⁶ الغزالي أبو حامد بن محمد، إحياء علوم الدين، ج 2، ط 1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1986، ص 273.
- ⁷ البستاني بطرس، مج 8، (د، ط)، دائرة المعارف، مطبعة المعارف، بيروت، 1884، ص 564.
- ³ الشامي صلاح الدين، الرحلة عين الجغرافيا المبصرة في الكشف الجغرافي والدراسة الميدانية، (د، ط)، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1999، ص 11.
- ⁹ الموفي ناصر عبد الرزاق، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية ق 4، ط 1، مكتبة الوفاء، القاهرة، 1995، ص 23.
- ¹⁰ الركيبي عبد الله، تطور النثر الجزائري الحديث، (د، ط)، الدار العربيّة للكتاب، ليبيا تونس، 1974، ص 50.
- ¹¹ الموفي ناصر عبد الرزاق، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية ق 4، ص 41.
- ¹² وهبة مجدي، المهندس كامل، معجم المصطلحات العربيّة في اللّغة والأدب، ط 2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984، ص 17.
- ¹³ ترجمته في: - بن الخطيب لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، تح: محمد عبد الله عنان، ج 3، ط 2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1973، ص 273.
- الزركلي خير الدين، الأعلام، ج 6، ط 15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002، ص 235-236.
- ¹⁴ ينظر: التازي عبد الهادي، مقدمة كتاب رحلة ابن بطوطة، ج 1، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1997، ص 80.
- ¹⁵ ابن بطوطة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد اللواتي الطنجي، تحفة النظر في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج 3، تح: عبد الهادي التازي، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1997، ص 233.
- ¹⁶ المصدر نفسه، ج 1، ص 153.
- ¹⁷ رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي، جدة، (د، ت)، ص 369.
- ¹⁸ الزركلي خير الدين، الأعلام، ج 6، ص 236.
- ¹⁹ ابن بطوطة، الرحلة، ج 1، ص 368.
- ²⁰ وهو الموضع المعروف بالحجون.
- ²¹ ابن بطوطة، الرحلة، ج 1، ص 386.
- ²² المصدر نفسه، ج 1، ص 387.
- ²³ المصدر نفسه، ج 1، ص 397.

²⁴ المصدر نفسه، ج 1، ص 204.

²⁵ المصدر نفسه، ج 1، ص 306.

²⁶ المصدر نفسه، ج 4، ص 54.

²⁷ المصدر نفسه، ج 3، ص 104.

²⁸ المصدر نفسه، ج 1، ص 387.

²⁹ المصدر نفسه، ج 3، ص 95.

³⁰ المصدر نفسه، ج 3، ص 100.

³¹ المصدر نفسه، ج 3، ص 101.

³² المصدر نفسه، ج 3، ص 152.

المصادر والمراجع:

الكتب:

- (1) البستاني بطرس، مج 8، (د، ط)، دائرة المعارف، مطبعة المعارف، بيروت، 1884.
- (2) ابن بطوطة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد اللواتي الطنجي، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ج 3، تح: عبد الهادي التازي، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1997.
- (3) التازي عبد الهادي، مقدمة كتاب رحلة ابن بطوطة، ج 1، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1997.
- (4) ابن الخطيب لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج 3، تح: محمد عبد الله عنان، ط 2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1973.
- (5) الركيبي عبد الله، تطور النثر الجزائري الحديث، (د، ط)، الدار العربية للكتاب، ليبيا تونس، 1974.
- (6) رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي، جدة، (د، ت).
- (7) الزركلي خير الدين، الأعلام، ج 6، ط 15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002.
- (8) الشامي صلاح الدين، الرحلة عين الجغرافيا المبصرة في الكشف الجغرافي والدراسة الميدانية، (د، ط)، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1999.
- (9) الغزالي أبو حامد بن محمد، إحياء علوم الدين، ج 2، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986.
- (10) ابن فارس، مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، (د، ط)، دار الفكر، سوريا، 1979.
- (11) الفيروز آبادي محي الدين يعقوب، قاموس المحيط، ج 2، (د، ط)، دار الجيل، بيروت، 1985.
- (12) ابن منظور، لسان العرب مادة، ج 3، (د، ط)، دار المعارف، بيروت، (د، ت).
- (13) الموافي ناصر عبد الرزاق، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية ق 4، ط 1، مكتبة الوفاء، القاهرة، 1995.
- (14) وهبة مجدي، المهندس كامل، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط 2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984.